جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي-

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

الأستاذ : عمر بوصبيع

المادة : تاريخ وحضارة فينيقيا – المحاضرة الأولى-

(مقدمة- الدراسة الطبيعية)

المستوى: السنة الأولى ماستر

التخصص : تاريخ الحضارات القديمة

السنة الجامعية: 2022/2021

السداسي : الثاني

مـــــقدمـــــــة:

الفينيقيون هم أحد الشعوب القديمة الذين تنتسب اليهم ما عرف بممالك المدن الفينيقية بمنطقة لبنان الحالية، وكان المؤرخون الإغريق هم من أطلقوا تسمية الفينيقيين على هذا الشعب من خلال كتاباتهم المتعددة. ومع أن فينيقيا ظلت عبر تاريخها منقسمة في شكل مدن أهمها : جبيل (Byblos) ، صيدا (Sidon) ، صور (Tyr) وأرواد (Arwad) ، إلا أن المؤرخين أطلقوا مصطلح فينيقيا على تلك الحضارة التي نشأت وازدهرت في هذه المنطقة بين 1200 و300 ق م.

إن جذور الحضارة الفينيقية كانت متواجدة على مستوى الساحل الشرقي للمتوسط منذ الألفية الثانية ق م، كما أن كل المدن التي شكلت ما عرف بحضارة فينيقيا كانت قد تأسست منذ زمن وتمارس نشاطاتها الحيوية. هذه المدن التي

كانت عواصما لتلك الممالك الصغيرة المعروفة بنشاطها التجاري المهم، كما كانت تشترك في ثقافة اعتبر الفينيقيون هم ورثتها المباشرين.

دخلت المدن الفينيقية في عهد جديد إثر ذلك الاضطراب الذي وقع بالمنطقة حوالي 1200 ق م ، فقد تخلصت من الهيمنة القديمة للمصريين(الدولة الحديثة في مصر) والحيثيين (الإمبراطورية الحيثية)، وبذلك تمتعت المدن الفينيقية بفترة من الاستقلال سمحت لها بتوسيع ومد شبكاتها التجارية بشكل لافت، كما أن نفوذها انتشر من خلال حركة توسعية في كامل حوض البحر المتوسط ، وبذلك أسس الفينيقيون المهاجرون مستوطنات ومدن أخرى في المواقع البحرية للمتوسط مثل : قبرص (Chypre) ، صقلية (Sicile)، سردينيا (Sardaigne) ، في شبه جزيرة إسبانيا (La Péninsule Ibérique) وكذا في شمال إفريقيا.

غير أنه وابتداء من القرن الثامن ق م فقدت المدن الفينيقية استقلالها لتخضع وبشكل متتالي لسيطرة الأشوريين (Les Assyriens)، البابليين (Les Babyloniens)، الفرس (Les Perses) الإغريق (Les Grecs)، وأخيرا الرومان ومع ذلك حافظت تلك المدن الفينيقية على أهميتها التجارية. وبالموازاة مع ذلك فإن المستوطنات الفينيقية في الحوض الغربي للمتوسط وقعت تحت نفوذ المدينة الأقوى هناك وهي قرطاجة (Carthage)، تلك المستوطنة التي استطاعت أن تخلق لنفسها حضارة خاصة بها سميت بالحضارة البونية.

ومن خلال الامتزاج بعناصر الثقافة الشمال إفريقية نجح ذلك الوجه الآخر من الحضارة الفينيقية في الظهور والتطور والازدهار، ولم ينطفئ نور هذه الحضارة إلا نتيجة للتوسعات الرومانية في المنطقة بعد صراع دامي خاضه الرومان ضد القرطاجيين وهو ما عرف تاريخيا بالحروب البونية. ومع ذلك فإن

اللافت للنظر هو أن الثقافة الفينيقية سواء في الوطن الأم فينيقيا أو في شمال إفريقيا ظلت محفوظة في الثقافات المحلية لتلك المناطق وبمظاهر خاصة إلى غاية القرن الأول الميلادي.

كان الفينيقيون بحارة ذوو جرأة عالية، وتجارا مهرة إضافة إلى قدرتهم على الصناعات الحرفية. ومما تجدر الإشارة إليه أنه من الصعب عدم الاعتماد على المصادر الخارجية في وصف الفينيقيين وحضارتهم، وذلك لقلة الكتابات المحلية ومحدوديتها، فالنصوص المكتوبة نادرة كما أن المواقع التي تم التنقيب عنها والبحث فيها قليلة. ويبقى الإنجاز الحضاري الأكثر شهرة والذي يعود فضله للفينيقيين هو ضبط الحروف الفينيقية (L'alphabet phéniciens)، والتي هي دون شك أصل الحروف التي انتشرت في كتابات العالم القديم مثل الحروف الإغريقية، والحروف الأرامية (L'alphabet araméens).

ولا يفوتنا في هذا الاطار أن نشير إلى أن الحضارة الفينيقية تشترك في العديد من العناصر مع حضارة الشعوب التي سبقت الفينيقيين في التواجد بمنطقة الشرق الأدنى القديم، تلك الشعوب التي اصطلح على تسميتهم بالكنعانيين وهذا ما سمح بفهم بعض المظاهر التي ميزت مؤسساتهم السياسية وكذلك معتقداتهم الدينية.

فينيقيا : الدراسة الطبيعية

عاش الفينيقيون قديما على ما اصطلح على تسميته بالساحل الفينيقي، ذلك الذي يقع على الواجهة الشرقية لحوض البحر المتوسط، والممتد بين خليج الإسكندرونة شمالا وصحراء سيناء جنوبا. وإذا كان البحر المتوسط يمثل الحدود الغربية لهذا الإقليم فإن سلسلة جبال لبنان الغربية تمثل الحد الشرقي له.

يبلغ طول الشاطئ المعروف باسم الساحل الفينيقي حوالي 440 كم، وهو في الحقيقة يمثل نحو الثلث الأوسط من الساحل الشرقي للمتوسط، إذ يتطابق تقريبا مع ساحل لبنان الحالية. أما السمة الغالبة على هذا الساحل فهي قلة الخلجان الطبيعية به واقتراب الجبال من البحر، الأمر الذي انعكس على نشاط الفينيقيين وطبيعة حياتهم. وفي الحقيقة فإن المتأمل لمشهد الساحل الفينيقي يلاحظ أن جباله تكاد تلامس مياه البحر في العديد من الأماكن، ولا يتسع الساحل إلا في الشمال والجنوب وفي بعض المناطق المتناثرة في الوسط مثل سهل **عكار** شمال **طرابلس**، وسهلي **صيدا وصور** اللذان كانا يعرفان قديما بسهل فينيقيا.

وبقدر ما ساهمت الجبال في تعقيد طرق التنقل برا بين المدن الفينيقية، بقدر ما كانت مصدر ثروة نباتية وطبيعية لسكانها، فكثرة الغابات التي كانت تكسوا هذه الجبال والتي جعلت من فينيقيا محط أنظار ومطمع الدول المجاورة مثل دول المصريين والأشوريين والبابليين والفرس وغيرهم. ذلك لأن أخشاب الأشجار المعمرة المنتشرة بكثرة في غابات فينيقيا كانت تمثل المادة الأولية لصناعات السفن التي انفرد بها الفينيقيون خلال الألف الثاني ق م، كما كانت هذه الأخشاب تستعمل أيضا كأعمدة ولوازم لبناء القصور خاصة بالنسبة لملوك أشور وبابل وفراعنة مصر.

وفي الواقع كانت جبال فينيقيا تتألف من العديد من السلاسل نذكر منها سلسلة جبال **الأمانوس** في الشمال، والتي تمثل الحدود الطبيعية بين سوريا وآسيا الصغرى، وكذلك سلسلة جبال **النصرية**. أما سلسلة جبال لبنان الغربية فهي في الحقيقة جزء من سلسلة الجبال السورية المتفرعة عن جبال طوروس المنحدرة نحو الجنوب لتصل إلى جبل سيناء في جنوب فينيقيا.

ونظرا لوجود منطقة فينيقيا بين درجتي عرض 33° و38° شمال خط الاستواء، وهو ما يعرف جغرافيا بالمنطقة المعتدلة الدافئة، فإن المناخ السائد فيها يعتبر معتدلا عموما، وبما أن الإقليم كان يحتل موقعا محاذيا للبحر المتوسط فإن مناخه لا يختلف عن مناخ الدول المتوسطية، الذي يتميز بالبرودة وهطول الأمطار شتاء، والحرارة والجفاف صيفا. أما أنهار فينيقيا فتعتبر في أغلبها فصلية وغير دائمة الجريان فهي تفيض ويزيد منسوب مياهها في الفصل الممطر، وتقارب الجفاف في فصل الصيف، باستثناء تلك التي تنبع من الداخل وتصب في البحر مثل نهر **الليطاني** الذي كان يسمى نهر **ليونس** وكذلك **العاصي** الذي كان يسمى قديما بنهر **الأورنت**.